سيد القمني في أول لقاء له مع صحيفة سعودية بعد تراجعه عن إعتزال الكتابة

إيران مهيأة بعد التجربة التي مرت بها لتكون بلدا حرا

.....

في رده على من يتهمة بمناصرته للتشيع: بقى ده كلام يا عمنا؟

١٠ / ٠٧ / ٢٠٠٩

إعداد وتقديم: حسين دويس

سيد القمني... ناقد أم كاتب أم محفزّ للعقول كي تقوم من سباتها؟ أنا أصفة ببعض كلماته وأقول " هو أحد رموز الرعيل المعاصر من التنويريين". سيد محمود علي القمني، من مواليد الواسطى – بني سوسف – مصر / في ١٣ / ٣ / ١٩٤٧. كاتب يمخر عباب التاريخ بقلمه الناقد اللاذع لا للانتقاد فقط ولكن من أجل التنوير وإضاءة شمعه في النفق الذي تسير فية الشعوب العربية والمسلمة إلى طريق غير معروف.

في كتابة "شكراً ابن لادن" يصف نفسه ويقول "كاتب هذه السطور يعلن بالفم المليان وكله شرف انه علماني حتى النخاع". هو إنسان أولاً

كأي مواطن مصري، يجذبنا الدكتور سيد بخفّة دمه وبنكتته اللاذعة خصوصاً في حواراته التلفزيونية.. يضع معارضيه على المحكّ بالحقائق، لا بالصراخ والشتم كما يفعل مجادلوه. درس التاريخ والفلسفة وحاصل على الدكتوراه في تأريخ علم الاجتماع الديني. يقول الدكتور سيد بأنه تأثر في بداياته بكتابات أبكار السقاف والدكتور فؤاد زكريا وغيرهم. توقف عن الكتابة في عام ٢٠٠٥ بعد تلقيه رسالة تهديد جادّة بالتعرض له ولعائلته وكتب رسالة نشرتها الصحف يقول فيها بأنه يتوقف عن الكتابة نهائياً. لم يكن سيد القمني قادراً على التوقف. فوطنيته وإنسانيته كانتا تشعلان لهيب الواجب في قلمه. كان قلمه يناديه بأن لا يترك الناس في الظلام الدامس وهو قادر على إضاءة شمعه بما يكتبه. عاد سيد القمني أقوى وأشرس من قبل. عاد ليقول الحق وما يراه الصواب في اعتقاده وبناءً على الدلائل التاريخية.

هنا نستضيف الدكتور سيد ونحاول الدخول معه في كثير من القضايا من خلال أسئلة جريئة يجيبنا علينا.

س: السؤال الأول الذي أصر العديد من محبيك ومعارضيك على بدء اللقاء به.. كيف هي صحة سيد القمني؟

مع الأسف لا استطيع أن أقول أنها حتى محتملة، لكنى على المستوى النفسي أشعر أنى قد أديت واجبي رغم أن عندي كثير لم أقله بعد، وإن رحلت فجأة و بدون ألم فهو مطلبي الملح مع اطمئناني أن هناك كثيرون يكملون المهام .

س: أصدرت "جبهة علماء الأزهر" بياناً نشر في جريدة "النور" في عام ١٩٩٢ يكفر الدكتور فرج فودة ويوجب قتله، وكان هذا بمثابة رسالة تهديد وقد تم تنفيذها. كيف استلمت أنت رسالة التهديد بالقتل؟ ولماذا طلب منك نشر رسالة الاعتزال والتوبة في صحيفة روز اليوسف تحديداً كما ذكرت ابنتك سلوى القمني؟

حتى اليوم لم تحاكم مصر المحرضين على اغتيال فرج فودة بفتواهم الصريحة بأسمائهم الصريحة لا لشيء إلا لأنهم مشايخ !! و أنا وصلتني رسائل تهديد بلا عدد عبر النت تفاعلت معها بمجلة روز اليوسف، لكن التهديد الذي أخذته بجدية هو الذي وصلني من قاعدة أنصار الرافدين مترافقا مع تهديد الجهاد المصري و تم تسليم كل الوثائق للأمن المصري في حينه.

س: باعتقاد سيد القمني، ما هو السبب وراء تكفير كل من يحاول انتقاد المسلمات في الدين الإسلامي.. كالقرآن مثلاً؟

لأن بلادنا لا تعرف ما هو النقد من أساسه و هو ما يشير إلى مدى انحطاط مناهج التعليم و بعدها عن مناهج التفكير العلمي الذي لا يقوم إلا على نقد ما سبقه.

س: هل ترى أن الرسم البياني للتيارات الدينية بدأ يأخذ المنحى التنازلي؟ ما هي الأسباب؟

نعم، و السبب انتشار وسائل التواصل الأليكترونى و المحطات الفضائية و رؤية المختلف و أنه إنسان مثلنا و ليس شيطانا، و انكشاف مدى جهل مشايخنا أمام الشباب بالحمل المستكن و رضاع الكبير و بول الرسول و الناقة و زواج الرضيعة.

س: تقول في الجزء الأول من مقالة "خارطة الطريق نحو الإصلاح" أن العالم ينظر للمسلمين باحتقار ويعاملهم معاملة ترويضية كمن يروض حيوانات مفترسة. كيف يمكن للمسلمين تغيير هذه النظرة؟ وعلى عاتق من يقع واجب التغيير؟

هو على عاتق من تمكن من المعرفة بالنقيضين: الإسلامي والحداثي، على المؤمنين بحق الإنسان في بلادنا في حياة محترمة حرة كريمة، و هؤلاء مابين مطرقة الاستبداد الحكومي و بين تكفير رجال الدين، بل و كراهية معظم المسلمين الذين نكتب من أجلهم، مع منعنا من الوصول إلى الناس عبر وسائل إعلام الدولة.

س: في كتابه "لو لم يظهر الإسلام ما حال العرب الآن؟" قام شاكر النابلسي بتقديم ثلاثة سيناريوهات محتملة لكل من الواقع الديني والثقافي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي العربي، فيما لو لم يظهر الإسلام في الوقت المناسب، وفيما لو بقي العرب وثنيين، أو اعتنقوا الحنيفية، أو اعتنقوا اليهودية أو المسيحية. في رأي سيد القمني.. ما هو حال العرب لو لم يظهر الإسلام؟

لا تعليق عندي على شخص مثل النابلسى الذي أكل لحمى ميتا، و لو لم يظهر النبي محمد لظهر نبي آخر أو قوة رافعة تملأ فراغ القوة حينذاك و تستجيب لفرز الواقع بشكل مختلف عن النبوة، لكن هكذا جاءت حركة التاريخ.

س: هل أنت على خصام مع الكاتب شاكر النابلسي بسبب مقالته التي نشرت في موقع "إيلاف" بتاريخ ١٧ يوليه ٢٠٠٥م تحت عنوان: "سيّد القمني: بئس المفكر الجبان أنت!" التي تلت إعلانك اعتزال الكتابة؟

لقد صبرنا عليه و هو يسرق أفكارنا و يتغذى على كتابتنا ثم لم نسلم من سفاهته حين كان ينبغي أن يكون على قدر المسئولية، لكنة لم يكن أهلا لها.

س: هل يؤمن سيد القمني بأن للقرآن وجهان؟ الوجه الأول يمثل ما يمكن تسميته بالحقائق والثاني يمثل وجهاً ميثولوجياً روحياً؟ إن كانت الإجابة بنعم.. أفلا تعتقد بأن الإيمان بهذه الفكرة شبيه إلى حدِ ما بالفكر الإسماعيلي في تعامله وتعاطيه مع القرآن في إطار الظاهر والباطن؟

نعم و لكن الوجهين عندي غير ذلك، فهناك وجه إيماني تعبدي بما فيه ما يسمونه غيبا أو ما نسميه ميثولوجيا، و هذا محل إيمان أو عدم إيمان و ليس محل بحث و نقد، و جانب آخر تفاعل مع واقع زمنه لضبطه قانونيا /شرعيا/ حسب شرائع ذلك الزمان، و هذا محل نظرنا اليوم، بل يجب احتسابه من المعطلة أحكامه لأن أحكامه غير قابلة للتفعيل في واقع اليوم، فإذا أثبت الزمن عدم صلاحية جزء من تشريع فعلى لأصحابه إعادة النظر فيه، و ببساطة هل يمكن اليوم تطبيق آيات و أحاديث فقه الرق؟

س: لماذا يصر الدكتور القمني على تبيان الخليفة الراشد عثمان بن عفان كسياسي غير ناضج وذلك في كتاب "حرب دولة الرسول"؟

لن يكون رأيي في عثمان أفضل من رأى صحابة النبي (ص) فيه.

س: ما ردك على من يقارن كتابك "الحزب الهاشمي" بكتاب "آيات شيطانية" لسلمان رشدي؟

هذا لون من العبث الذي لا يعرف كوعه من بوعه على رأي التوانسة، لذلك هو غير خليق بالاستماع إليه ناهيك عن الرد عليه.

س: على الخارطة العربية، أين نجد "الخطاب الإسلامجي و الخطاب العربجي القومجي" التي تحدثت عنها في مقالك "إنها مصرنا يا كلاب جهنم" ؟

على كل الخارطة العربية عربجى إسلامجى، و على بقية الخارطة الإسلامية خطاب إسلامجى موغل في نصيته و حرفيته، عدا بعض دول شرقي آسيا و هي بدورها لم تسلم من إرهاب أصحاب النص الحرفي.

س: أين يمكن أن نجد القيم الأخلاقية الصحيحة؟ وهل الدين مصدر للقيم؟

لو كان الدين مصدرا للقيم لثبتت ثبات الأزل و الأبد، وواقع التاريخ الإنساني ينطق بغير ذلك، و ما البهلوانية المشيخية حول المساواة و الحقوق و المرأة و غيرها إلا شعورا برقى القيم الإنسانية لأنها غير موجودة بمعناها اليوم في أي دين.

س: يقول د. أيمن الجندي في أحد مقالاته عنك "منهج القمني في التعامل مع كتب التراث انتقائي وبسيط جدا.. إنه ببساطة يتعقب العورات". بماذا ترد علية؟

و كيف يؤمن بتراث فيه كل هذه العورات؟ و هل تراثنا و تاريخ شخوص الإمبراطورية الإسلامية من المقدسات؟ وخلط الشخوص البشرية بالدين يشينه و يعوره.

س: يقول الدكتور كمال الصليبي أن التوراة جاءت من جزيرة العرب. كيف يمكن قراءة التاريخ لو أثبتت الأبحاث الآركيولوجية صدق ما تبناه الدكتور صليبي؟

لقد أثبتت و انتهى الأمر، عمنا صليبى أستاذ لا يبارى في التناول اللغوي لكنه لم يهتم بالتأكد أولا من الآثار الآركيولوجية /أنظر ردى عليه: (الرد اليسير على توراة عسير) ضمن كتابي رب الزمان، أو كتابي السؤال الآخر.

س: ألا ترى أن من حاولوا فك الأساطير القديمة قد وقعوا في خطا منهجي أضاع الكثير مما يمكن أن تكشفه تلك الأساطير عن المثيولوجيا في زمنها..!
و أقصد بالخطأ المنهجي، التفسير الحرفي للأساطير مع العلم أن هناك من يقول أن تعبيرات الأولين في أساطيرهم كانت رمزية و لا يمكن فك شفرتها عند ترجمتها حرفياً؟

نعم يا سيدي هذا صحيح جدا، لكن تبقى لدى الشعوب و خاصة في ريف تلك البلدان المنعزل مناهج تفكير تحمل الشفرات و المفاتيح لقراءة تلك الأساطير، لذلك دوما كنت أقول لأهل الغرب: مهما حاولتم فإن أهل مكة أدرى بشعابها، فنحن أكثر من يستطيع التعامل مع هذا المأثور الطويل.

س: هل يرى سيد القمني بأن التيارات الإصلاحية التنويرية قادرة على الوقوف في وجه تيارات التشدد بالرغم من تفوق الثانية من الناحية السيسيولوجية؟ وهل هي مسألة وقت فقط؟

الرقى الإنساني و التقدم العلمي يسير بثبات و ثقة دون تراجع، بينما كل الأديان قدم أهلها التراجع إثر الآخر، لذا هو آت آت، و المسألة فقط في المساحة الزمنية الفاصلة، و ما يحدث الآن هو آخر معركة يخوضها زمن ما قبل العلم مع زمن الحداثة وما بعد ظهور المنهج العلمي في التفكير.

س: هل تغيير وضع العالم العربي والإسلامي يحتاج إلى ثورة؟ أياً كان نوعها؟

أنا شخصيا أصر على الطرق السلمية للتغيير حتى لو طال الزمن، حتى لا تضربنا الأعراض الجانبية للثورات، أؤمن بالتغيير التطوري التراكمي لا الثوري وعدم القفز على المراحل. وهو موقفي من ظروف بلد كمصر لكن هناك بلدانا أخرى لها ظروف مختلفة وأهلها أدرى بها.

س: قلت في أحد لقاءاتك بأنه لا وجود للرجم في الإسلام! وأن علماء المسلمين قاموا بأخذ هذا الحكم من التوراة، ما هو دليلك على ذلك؟

لأن الحكم موجود بالتوراة و سابق للمسيحية والإسلام و غير موجود في نصوص القرآن، وقد رفض الله أن يحكم نبيه محمد في قضية زنى يهودية و أجابهم وأجابه: "كيف يحكمونك و عندهم التوراة فيها حكم الله"، و لأن الرواية بأنها كانت ضمن آيات القرآن و أكلتها الداجن فلم ترد بالقرآن، هي رواية ضد القرآن و ليست معه، و ليس للآية التي أكلتها الداجن (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله وكان الله عزيزا حكيما) بديل ناسخ في الآيات التي بين أيدينا، و الموجود فقط بالقرآن العذاب العلني بالجلد. و هو بدوره ما عطله زماننا الذي تحولت أحكامه للتأديب و ليس الانتقام، فأنهى زمن العقوبة البدنية.

س: يلاحظ على المثقف المصري أنه يرى في المثقف الخليجي مثقف غير مكتمل ويضعه دائماً في ذيل قائمة المثقفين العرب، ما هو موقف سيد القمني من هذا؟ وما هي الأسباب وراء هذه النظرة تجاه المثقف الخليجي؟

هذا عند العوام من خريجي الجامعات المصرية التي أصبحت جوامع، أما المثقف المصري الليبرالي الحقيقي فإنه يبحث عن أهله في كل مكان لتشابك المصالح، و أنا شخصيا أحنى رأسي لكثير من الهامات العبقرية في كل دول الخليج، و مثل هؤلاء في ظرف كالظرف الحجازي يقال لهم عن جدارة واستحقاق: (طوبى لكم).

س: إلى ماذا يعزو القمني ظاهرة الحجاب الخليجي والتي بدأت في الانتشار في أوساط المجتمع المصري ؟

إلى المال المتأسلم البترودولاري، و طاعة المجتمع الذي يعاقب بالاتهام في الشرف، و بيزنس ملابس المسلمات وألوان الأحجبة وموديلاتها، و بيزنس الفضائيات ومشايخ الفيديو كليب، و رغبة المسلمين في الشعور أنهم كثرة عندما يجد كل الشارع محجبا، و إثباتا لسلطة الشيوخ على هذا الشارع.

س: هل تعتقد بأن الأخوان المسلمين هم أصل وجذور التشدد في العالم الإسلامي؟ خصوصاً إن استذكرنا ما قام به عبدالناصر من طرد لكبار رؤوس الفكر الأخواني وما حدث بعدها بأن استقبلتهم الدول الخليجية كالسعودية وقطر وغيرها ووضعتهم في أماكن حساسة كالتعليم.

أسمى إخوان مصر أنفسهم على اسم إخوان السعودية مؤسسي الوهابية، لكن إخوان مصر بحصيلتهم المعرفية و خبرتهم في النظام الحركي والسري كانوا خير دعم للوهابية في الخليج كله.

س: كيف كان المجتمع الخليجي من الناحية الدينية في فترة السبعينيات التي كنت تعمل بها مدرساً للفلسفة في دولة الكويت؟

عدت و الكويت ترتقي نحو المدينة لأفاجأ أن مصر قد تحجبت والتحت قبل الكويت.

س: برأيك لماذا فقدت المؤسسات الدينية الرسمية في المجتمعات العربية ثقة الكثير من أبناء تلك المجتمعات؟

لأنها أثبتت تفاهة مواقفها و ضحالة فكرها و عدم مراعاتها المتغير الهائل و حرصها ليس على الوطن أو المواطن بل على النص و المكاسب من وراء النص.

س: متى تحول الإسلام من علاقة روحية بين الله والبشر إلى إسلام سياسي يتم استخدامه في الحياة العامة بكل مجالاتها؟

منذ بدأ استخدام الدين في الصراع على الدنيا من فجر الخلافة.

س: يقول الفيلسوف الفرنسي آرنست رينان في محاضرة بعنوان "الإسلامية والعلم" ألقاها في جامعة السوربون عام ١٨٨٣ "كلّ إنسان يتمتع بالحدّ الأدنى من الإطلاع على شؤون العصر يرى بوضوح الدونية الحالية للبلدان الإسلامية والانحطاط الذي يميّز الدول التي يحكمها الإسلام والبؤس الفكري للأعراق التي لا تقتبس ثقافتها وتعليمها إلاّ من هذه الديانة. كلّ الذين زاروا الشرق أو إفريقيا يصدمهم الانغلاق الذي يميّز عقل كلّ مؤمن صادق، حتى كأنّ دماغه قد أحيط بسوار معدني يمنع عنه العلوم ويحظر عليه التعلّم ويدرأ به أن ينفتح على فكرة جديدة".

رينان ينفي وجود ما يسمى بالفلسفة الإسلامية في كثير من أطروحاته. ما رأي سيد القمني في هذا الأمر؟ وهل يؤمن بوجد ما يسمى بالفلسفة الإسلامية؟

ما أعلمه عن الفلسفة الإسلامية هو فلسفة يونانية منقولة عن أرسطو و أفلاطون و عن الفيلسوف السكندري إفلوطين، و بعضهم كالفاربى و ابن سينا قام بمزجها بأفكار إسلامية فأصبحت هجينا غير مقنع لا لرجال الدين و لا للمشتغلين بالفلسفة، و لكن هناك فرعا فلسفيا إسلاميا خالصا هو علم الكلام الذي تم قبره مع المعتزلة منذ المتوكل و من بعده.

س: ما هو تقييم سيد القمني للانتخابات الإيرانية؟ وهل تقف في صف نجاد أم موسوي ولماذا؟

إيران مهيأة بعد التجربة التي مرت بها لتكون بلدا حرا لا مكان فيه لولاية مقدسة، و ما نراه هو المقدمات لما هو آت، و أعتقد أن العراق و إيران سيكونان المرشحان لخطوة البداية، و حين يحدث هذا سيصنع لدودا الأمس مصالح الغد.

س: يتهم البعض سيد القمني بأنه مناصر للتشيع مستدلين على ذلك بعدم انتقاده للنظام الإسلامي في إيران وكذلك لعدم وضوح موقفه فيما يتعلق بولاية الفقيه؟

بقى ده كلام يا عمنا؟ الولاية للشعب في مجتمع حر، تعادل فيه كرامة المواطن الواحد كرامة الوطن كله.

س: في اعتقادك وبناءً على قراءتك للأحداث، ما هو مستقبل إسرائيل كدولة؟

إن تم التحويل الديمقراطي في جانبنا فلن تكون هناك مشكلة مع إسرائيل سوى تحولها لديمقراطية كاملة غير هلعه لا تقوم على الدين أو العنصر إنما على المواطنة.

س: ذكرت في إحدى لقاءاتك بأنك تعمل على إعادة ترتيب القرآن بناءً على الأوقات الزمنية لنزول الآيات فهل بدأ القمني في هذا؟

اكتشفت أنه عمل يحتاج إلى سنين، و بدأته فعلا ثم توقفت لأنه فوق طاقتي و أيامي الباقية في الدنيا لن تكفيه، فهو بحاجة إلى سنوات مع دعم مؤسسي يقف خلفه وهو مالا أملكه. وأرى أن الأهل له هو نصر أبو زيد.

س: ما هو موقف ورأي سيد القمنى في أفكار ورؤى الأسماء التالية:

١: يوسف القرضاوي : تاجر شاطر و صحته كويسه !
٢: جمال البنا :علامة من علامات العاملين بالشأن الإسلامي، و رجل أحترمه كإنسان و كفكر و كدور، رغم عدم اتفاقي في كثير من الشؤون معه، خاصة آراؤه السياسية و مواقفه التي تميل إلى إرضاء النزعة الشعبوية.
٣: عائض القرني :ما أعرفه عنه لا يسمح بتكوين رأى سليم فيه
٤: تركي الحمد: أرفع له القبعة احتراما. قيمة فكرية كبيرة وإضافة نادرة المثال للثقافة العربية
٥: محمد الجابري: باحث و قامة نحترمها و نعتز بها و إن خالفناه في كثير أو قليل.
٦: جورج طرابيشي: أستاذ لجيلى دؤوب متواضع إنسان رفيع الفكر و القيم والقلم.
٧: نوال السعداوي: مناضلة قوية أحترمها لكنها لم تستطع التخلص من الأيدولوجيا.
٨: أحمد صبحى منصور: بقدر اختلافي معه بقدر احترامي له !
٩: تركي الدخيل: مذيع نابه له حضور، ومحاور متمكن من أدواته.
١٠: نادين البدير: مقاتلة جسور وشابة لازال عندها الكثير لتعطيه.

س: كلمة أخيرة ترغب بتوجيهها لمحبيك ومعارضيك؟

تعالوا نتفهم الحب و معانيه حتى نطرد الكراهية و التعصب من نفوسنا، حتى يمكن أن نقبل على الحياة و نتعلم فنونها، لنساهم بدور في حضارة الإنسان، الذي ترك الجنة حتى تأتى أو لا تأتى، ليقيم جنته على الأرض. وأننا لسنا أدنى من البشر الذين ينعمون بالجنة على الأرض. تعالوا نحترم العلم والعلماء والفن بألوانه لترتقي الروح مع العقل، بغض النظر عن الأديان. تعالوا نحترم حق كل منا فيما يرى ويعتقد دون فرض ولا إكراه، باختصار أطردوا المشايخ والكهنة من حياتكم حتى تتعافوا وتصحوا فهم مصدر كل بلاء لنا أو لغيرنا، حتى نلحق بآخر قافلة مغادرة نحو النور.